العدد(1413) السنة السادسة - الاحد (18) كانون الثاني 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

العرب والتنوير.. شهر عسل قصير

الاتحاد
١/١٧

حازم صاغية

منذ الحملة النابوليونيّة على مصر، شرعت تظهر بدايات متواضعة جدّاً لما أسماه ألبرت حوراني، بشيء من المبالغة، «الحقبة الليبراليّة». لكن الأخيرة، حسب حوراني نفسه، انتهت مع نهاية ثلاثينيات القرن العشرين. بيد أن هذه الحقبة بلغت ذروتها أواخر القرن التاسع عشر، مع عهد الخديوي إسماعيل وتواصل مدّها حتى ثورة ١٩١٩ المصرية والسنوات القليلة التي أعقبتها حيث بدأ بعدها الانحسار.

فقد ظل في الإمكان، على ما دلت تجربة حزب «الوفد» المصري الذي قاد الثورة المذكورة، الجمع بين النضال الاستقلالي والدفاع عن الدستور والحياة الديمقراطيّة. وفي المناخ نفسه وُضع في ١٩٢٣ دستور يستوحي الدستور البلجيكيّ. وما بين عهد إسماعيل وتلك الفترة، كانت قد شرعت تتبلور ملامح وطنيّة مصريّة بالمعنى الحديث للكلمة، شارك في إنتاجها بعض أبناء الأقليّات ومثقّفيهم، كما خطت الحركة النسويّة خطواتها الأولى مناديةً بنزع الحجاب ومطالبةً بإشراك المرأة في الحياة العامة للمجتمع.

وفي هذه الغضون، نشأت مؤسسات تعليميّة تنتج الكوادر الحديثة كجامعة القاهرة في ١٩٠٨ التي توسّعت وغدت جامعة وطنيّة عامّة في ١٩٢٥، وقد خصّصت الجامعة قسماً للفتيات درست فيه نسويّات لاحقات كهدى الشعراوي، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر كان الكاتب قاسم أمين قد دعا إلى سفور المرأة. كذلك ولدت في ١٩٢٧ السينما المصريّة التي لعبت دوراً بارزاً في وصل بعض المصريّين والعرب بالعالم الخارجيّ وفي توسيع مخيّلاتهم ومداركهم.

لقد كان «الوفد» بطل تلك المرحلة، ولتقدير دوره يكفي التذكير بأنه غيّر الوجه الضدّيّ الذي طغى على الوطنيّة المصريّة، لاسيّما منذ ١٩٠٦ حين انفجرت حادثتا العقبة ودنشواي: ففي الأولى، وقفت النخبة ذات العواطف الإسلامية إلى جانب السلطنة العثمانيّة ضدّ مصر في عمليّة ترسيم الحدود في سيناء بسبب تماهي مصر، في نظرهم، مع السياسة البريطانيّة.

وفي الثانية اصطدم جنود بريطانيّون بقرويّين مصريّين وصدرت أحكام إعدام قاسية بحقّ الفلاحين، مما زاد في غضب الوطنيّة الإسلاميّة في مصر. ثم اتّخذت الموجة الثانية لتلك الوطنيّة شكل الصدام مع الأقباط خلال ١٩١٠-١٩١١، وهو ما ترافق مع اغتيال أبرز سياسيّيهم بطرس غالي على يد متعصّب اتهمه بالعمالة للبريطانيّين، بعد موجة من التحريض على الأقباط أطلقها رموز في النخبة الوطنية الإسلاميّة، لاسيّما الشيخ عبدالعزيز جاويش.

على أن النخبة التي تجمّعت لاحقاً في «الوفد» حلّت محلّ «الحزب الوطنيّ» ورموزه ممن طوّروا الوطنيّة الضديّة وبلوروها، وهي وجهة كان لها ما يوازيها في بعض العالم الإسلاميّ. فتركيا كانت قد ألغت في ١٩٢٤ الخلافة، بعدما ألغت السلطنة، وهو الحدث الضخم الذي اهتزّ له العالم الإسلاميّ بأسره. وفي إيران أمسك رضا بهلوي عام ١٩٢٥ بمقاليد السلطة فشرع بتحديث وعلمنة السياسة فارضاً سيطرة الدولة المركزيّة على زعامات العشائر والمناطق. حتى أفغانستان، أكثر بلدان العالم الإسلاميّ غرقاً في التخلّف، شهدت بين ١٩١٩ و١٩٢٩ تجربة ملكها أمان الله الذي كانت له محاولته غير الموفّقة في النهاية من أجل تحديثها.

وربما عثرنا على المرآة الأدقّ للتحوّلات تلك في الأفكار الإصلاحيّة التي عبّر عنها شيخ أزهريّ كبير هو محمد عبده، فآراؤه كانت لا تزال مسموعة الصوت وذات تأثير في أجواء النخب خصوصاً في مصر، ولم يحل دون ذلك أن عبده أنشأ صلة وطيدة باللورد كرومر، حاكم مصر الإنجليزيّ، وأنه وجّه نقداً بالغ الشدّة لأحمد عرابي وحركته المسلّحة.

فمع عبده والإصلاحيّين كان السؤال المستولي على ذهن النخبة: لماذا تقدّم الغرب وتراجع الشرق؟ وكان الطموح السائد أن تغدو مجتمعاتنا مثل مجتمعات الغرب.

وقد ظهر عدد من تلاميذ محمد عبده ربما كان أبرزهم أحمد لطفي السيد الذي اعتبر أن محاربة الاستبداد، لا محاربة الاستعمار، تأتي أوّلاً، وأن الاستعمار هو نتاج ضعف المصريّين لا سببه. لا بل ظهرت في هذه البيئة محاولات جريئة تُذكر منها اثنتان:

ففي ١٩٢٥ نشر كتاب الشيخ علي عبدالرازق «الإسلام وأصول الحكم» الذي عالج مسألة الدين والدولة مثيراً غضب القصر الملكيّ والمؤسسة الدينية. وتبيّن في المعركة التي خيضت ضدّه حجم الإصرار على إبقاء الدين مرجعاً يهيمن على الحياة الزمنيّة.

وقد حُرّم الكتاب وفُصل عبدالرازق من وظيفته، والأهمّ ربما أنه لم يلق أي دعم من زعيم «الوفد» سعد زغلول الذي يُفترض أن أفكاراً كثيرة جمعته به، فضلاً عن تتلمذ الاثنين على محمد عبده. وهذه كانت إشارة مبكرة ليس فقط إلى أن «الليبراليّة» ضعيفة الأنياب، بل أيضاً إلى أن كبار الليبراليّين لا يجرأون على تحدّي الإجماع كمقدّس مطلق.

لكنْ بعد عام واحد صدر كتاب آخر لطه حسين المتأثر بالثقافة الفرنسيّة، حاملاً عنوان «في الشعر الجاهليّ»، مما أدى إلى تكفيره. وبالاستفادة من التحوّلات «الليبراليّة» ظهرت كتب تتبع، إلى هذا الحدّ أو ذاك، المناهج النقدية والعقلانية في النظر إلى التاريخين السياسيّ والدينيّ، للمصريّين محمد حسين هيكل وأحمد أمين والعراقيّ معروف الرصافي، بينما استمرّ المثقّفون المسيحيّون، الذين لجأوا إلى مصر هرباً من السلطنة العثمانيّة، كشبلي شميّل وفرح أنطون، في نشر أفكار تنويريّة.

بيد أن ما حصل لطه حسين كان أخطر مما حصل لعبدالرازق وأكثر كشفاً عن الضعف البنيويّ لـ«الحقبة الليبرالية».. فحسين كان أيضاً عضواً في البرلمان، إلا أن «الوفد»، الذي يقدّم نفسه حزب الوطنيّة الليبراليّة، كان من طالب بمنع الكتاب ومصادرته ومنع صاحبه من التدريس. وتحت ضغط حملة متواصلة عليه، اعتذر حسين وأعاد إصدار الكتاب معدّلاً بعنوان «في الأدب الجاهليّ».

وهذه كانت تجربة أخرى تدل على الحدود البالغة الضيق للشجاعة التي كان يمكن أن تبلغها البُنى الحديثة كالأحزاب والجامعات وعالم النشر، فضلاً عن الأفكار والسياسات الليبراليّة، حيال المؤسّسة التقليديّة وحساسيّاتها.

وسريعاً ما بدأ الجمع بين الاستقلاليّة والدستوريّة والإصلاح الدينيّ يصبح مستحيلاً. فتلميذ محمد عبده الأبرز، الشيخ رشيد رضا، انعطف إلى إسلام سلفيّ متشدّد. وفي ١٩٢٨ أنشأ حسن البنّا، أحد تلامذة رضا، «جماعة الإخوان المسلمين».

ولم يكن الشعور بالحصار و«تآمر الغرب على المسلمين» بعيداً عن تعطيل الإصلاح وحركة النقد الذاتيّ. فليس بلا دلالة، مثلاً، أن جماعة «الإخوان» تأسّست في مدينة الإسماعيليّة التي كانت في وقت واحد مركز القيادة العسكريّة البريطانيّة والتبشير المسيحيّ. لكن نشأة «الإخوان» كانت المنعطف النوعيّ والمؤدلج في وضع الإسلام ضدّ الحداثة. وكانت غلبة التسييس الإيديولوجيّ على الدينيّ البحت ظاهرة في سيرة مؤسّسها حسن البنّا الذي لم يتلقّ تعليماً دينيّاً بالمعنى التقنيّ للكلمة. فالجماعة عارضت الوطنيّة باسم الإسلام، ورفعت شعار «القرآن دستورنا» بما يعلن رفضها للدستور، وكانت لهذا التطوّر تأثيراته الواضحة على متانة النسيج الوطنيّ المصريّ: ففي ١٩٣٤، ولأوّل مرّة، اعتُمدت في مصر معايير صارمة تحدّ من إقامة الكنائس وتضعف العلاقة بين مسلمي مصر ومسيحيّيها.

والحال أن إلغاء الخلافة فتح الباب واسعاً لأسلمة صريحة للسياسات المضادة للتحديث الأتاتوركيّ. ففي ١٩٢٦ أسّس «مؤتمر العالم الإسلاميّ» وعقدت دورته الأولى في مكّة، ليكون منبراً للتفكير بشؤون المسلمين ووضع تصورات وخطط أمميّة لمعالجتها. وفي ١٩٣١ عقد «مؤتمر العالم الإسلاميّ» دورته الثانية في القدس، بدعوة من مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني. وفي هذه الدورة انعقد قران الإسلام والقضية الفلسطينيّة بوصفها يومذاك دعوة لوقف الهجرة اليهوديّة. وعلى هذا النحو التقى رافدان قويّان من روافد العمل العابر لحدود الدول الوطنيّة، وهو ما لم تتوقف آثاره عن الفعل منذ ذلك الحين.

وواقع الأمر أن «العصر الليبرالي»، أو «النهضة» في تسمية أخرى، عانى تشوّهاً خطيراً: ذاك أن همّها الرئيسي لم يكن كسب التقدّم لذاته، بل من أجل امتلاك سرّ تفوق الغرب بهدف استعماله ضدّه والتفوّق، من ثم، عليه. فـ«النهضة»، تالياً، وبسبب هُجاسها بالغرب وبالضديّة حياله، لم تعرف الانشغال الجديّ بالعمليّة الدستوريّة ومناقشات الحقّ والعدل والسعادة وحريّات الفرد وواجباته وحقوقه مما عجّ به الفكر السياسيّ البريطانيّ مثلاً. وكان لطغيان هذا الهمّ أن أضعف المناعة حيال الهجمة اللاحقة لموجة العداء للحداثة والتنوير.

وهذا ما اتّخذ أوضح تعابيره في التهليل الذي واجه به مثقّفو المنطقة الانتصار الياباني على روسيا في ٠٤-١٩٠٥، بوصف الروس أوروبيّين فيما اليابان آسيويّون أقحاح امتلكوا «سرّ القوّة» لإنزال الهزيمة بطرف غالباً ما تحدّى السلطنة العثمانيّة وهزمها. هنا، في هذه النظريّة تحديداً، ينبغي البحث عن سرّ انسحابنا من التنوير والحداثة السياسيّة بعد شهر عسل قصير جدّاً معهما. وهي نظريّة لا تزال، إلى يومنا هذا، تشتغل بكفاءة وحماسة.

العلم
١/١٧

ملاحظات على هامش العمليات الانتحارية بالدار البيضاء

عبد الله الشرقاوي

تستدعي العمليات الانتحارية لشهر مارس وأبريل التي هزت المغرب الوقوف عندها مليا، لاستجلاء ملاحظات جوهرية، بعيداً عن «سياسة الماكياج» التي من طبيعتها أن تندثر بفعل التعرية.

وتتجلى أولى هذه الملاحظات في كون الاجهزة الامنية المغربية تعاملت مع الوحوش المسخرين للتقتيل، والفتنة، والتخريب، بانتقائية الاعتقالات المطلوبة، على مستوى الرصد، والاحتفاظ ببعض المشتبه فيهم، مما يعني تجاوز صدمة ١٦ ماي بالدار البيضاء.

أما الملاحظة الثانية فتتمثل في أن المسؤولين استبقوا الأحداث في إعطاء تصريحات بشأن الصناعة المحلية لهذه الخلايا، على اعتبار أن التحريات مازالت متواصلة، ولم يتم الكشف عن الرؤوس المدبِّرة، والممولة للانتحاريين، والذين يفترض أن يكونوا من زعماء مروجي الفكر التطرفي الإرهابي، أو جهات حاقدة على المغرب تحركها أهداف مُعينة، وهي افتراضات تستدعيها أبجديات التحريات الأمنية المفتوحة على كل الاحتمالات، علما أن استنتاج المسؤولين المشار إليه آنفا يمكن أن يكون صائبا، إلا أن ظرفية الإقرار به غير ملائمة، خاصة ان هامش الخطأ في التأويل، والتفسير غير مسموح به، ولما يمكن أن تترتب عنه من نتائج في حالة اكتشاف معطيات جديدة، حتى من زاوية تأثير ذلك على الرأي العام الوطني، الذي يظل معنيا بمعرفة ما يجري على وجه الحقيقة، بعيداً عن تضارب المعطيات، خاصة على المستوى الرسمي.

أما الملاحظة الثالثة فتهم تعاطي وسائل الاعلام مع فواجع الانتحاريين، وهي مقاربة متعددة الأوجه تتخللها اختلالات، في ظل شح المعلومات، وعدم إيجاد مخاطب يوفر المعطيات البعيدة عن سريان التحقيق، ويمكن إيجاز اختلالات وتجاوزات الرصد الإعلامي في النقط التالية:

.نشر صور بشعة للانتحاريين.

.نشر صور وأسماء المشتبه فيهم، وعائلاتهم، في مخالفة صريحة لمقتضيات قانون الصحافة، وقانون المسطرة الجنائية.

.عدم الإكتراث بضحايا الانتحاريين والمتطرفين، ونعني بذلك عائلاتهم وذويهم، الذين يوجد منهم من يعاني الويلات، خاصة الزوجة والابناء، الذين يتعرضون للعنف المادي والمعنوي، بل هناك اطفال يحرمون من التمدرس والتطبيب، بدعوى تكفير المؤسسات، مما يجعلنا أمام قنابل موقوتة قابلة للتفجير، بعد عمليات غسل الأدمغة.

.غياب ثقافة قانونية وحقوقية، خاصة بالقطاع السمعي البصري للتحسيس، والتوعية، والتعريف بالأعذار القانونية، التي يَنص عليها القانون الجنائي، وقانون مكافحة الإرهاب، سواء التبليغ قبل ارتكاب الافعال الجرمية، أو أثناءها، أو بعدها.

.التركيز على عوامل الفقر، والفقر المدقع، والجهل، وانتشار دور القصدير في صناعة الانتحاريين، والفكر «الجهادي» المتطرف، في حين أن أسباب العلل لا تنحصر في هذه الجوانب فقط، و لها امتدادات خارجية وداخلية.

.عدم دقة بعض المنابر الاعلامية في نقل معطيات الملفات، وتقديم وصفات صناعة المتفجرات، وكأننا بصدد برنامج «شهيوات» الذي يقدم وصفات المأكولات والحلويات بدقة متناهية لتطبيق الوصفة.. إلخ.

ويرى أحد المهتمين أن المقاربة الشمولية لدحض الارهاب، التي اضحت معلومة، تتطلب أيضا الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة، والطاقات البشرية الكفأة المتخصصة، بما في ذلك خبراء المعلوميات، وخلق قناة مؤسساتية لتوحيد المجهودات الأمنية، والاستخباراتية تكون بمثابة مركز لتجميع المعلومة، وتصريفها في الوقت المحدد، مع ضمان تنسيق مُحكم لباقي أجهزة الأمن على غرار التجربة الفرنسية، التي نحن مغرمون بقوانينها، إضافة إلى تعزيز التعاون الدولي، وفق شروط وآليات محكمة ومضبوطة.

وقال المصدر إنه إذا كان الخبراء المدنيون والعسكريون في العالم يؤكدون على أهمية التصدي للفكر الايديولوجي لتنظيم «القاعدة» ومن يدور في فلكها، ومجابهة توظيفه الجيّد لشبكات الإنترنيت، فإن الملاحظ أننا مازلنا لم نول لهذا الموضوع أهميته القصوى، بل هناك ثغرات وضعف على مستوى الشبكة المعلوماتية في علاقتها بالجريمة المنظمة الدولية.

في هذا السياق استشهد مصدرنا بمثال بسيط يتعلق بالصعوبات الواقعية للتهديدات عبر المواقع الإلكترونية، خاصة في ظل التعقيدات المسطرية، وغياب خبراء معلوماتيين قضائيين.

السفير
١/١٧

غزة الشهيد وقمم الحروب العربية

طلال سلمان

ثلاث قمم عربية في خمسة ايام، والحرب الإسرائيلية على فلسطين (والعرب جميعا) في غزة مفتوحة على الجحيم، لم تتوقف مدافع طائراتها ودباباتها وحواماتها عن قتل الاطفال والنساء والبيوت والمدارس والجامعات والمستشفيات والأفران وأكواخ اللجوء الثاني أو الثالث في غزة التي صارت الامة جميعا وظلت وحدها تحترق ولا مغيث.

يا لعظمة الدم المسفوح غيلة في غزة هاشم جد الرسول، لقد أجبر القادة العرب على التنادي للتلاقي، بالتهيب او بالاشفاق او بدفع تهمة التواطؤ لكي يختلفوا بداية على ارض اللقاء ثم على النصاب القانوني له، ثم على جدول أعماله، وقبل الوصول الى مقرراته (التي لن تنفذ كما جرت العادة)، بينما آلة القتل الاسرائيلية تتابع حصد المزيد من الضحايا الذين قدموا نموذجا فذا في الصمود، وباللحم العاري وفي رفض الاستسلام لشروط المحرقة.

يا لهول الجبروت الإسرائيلي المصفح بالتأييد الاميركي المفتوح وبالانقسام العربي المستعصي على المعالجة والذي يدفع في اتجاه الاستسلام ويضيف الى الحصار ضغوطا أثقل منه وطأة وأمض إيلاما.. انه يمنع التوافق العربي على أي شيء، أي شيء.

يا لمفارقة ان يتقدم بمبادرة مجانية للسلام مع عدو لم يخاطب هذه الامة الا بلغة الحرب، منذ أعد لمشروعه على ارضها وحتى اليوم، أولئك الذين لم يحاربوا يوما ولم يضحوا بجيل او جيلين من أبنائهم ولا هم دفعوا او يدفعون من حقهم في الحياة الآمنة او من ارضهم ضريبة الاحتلال وأعباء التحرير في مواجهة العالم كله، ومن ضمنه بعض الأشقاء ومعظم الاصدقاء !؟

في الدوحة كان الغائبون شديدي التأثير على الحاضرين الذين ارتضوا ارجاء التلاقي ثم تغيير عنوانه من (القمة العربية) الى (التشاورية)، ثم وبعد الجدل البيزنطي حول النصاب القانوني جعلوه (قمة غزة الطارئة)، ومع ذلك فقد ظل الحرص على الخروج باتفاق ما، ولو على قاعدة الحد الادنى يضبط ايقاع الكلمات وسقف المطالب... حتى لقد بدا قادة فصائل المقاومة الفلسطينية أشد حرصا على وحدة الموقف الفلسطيني من القائم بأمر سلطتها لتعذر الانتخاب الديموقراطي الذي يصعب ان تنجزه قنابل الفوسفور الاسرائيلية.

لم يأت احد الى الدوحة طلبا للحرب العربية العربية.

وعندما اضيف الحضور الاسلامي الكثيف، ولو كضيف شرف، كان ذلك بمثابة اعلان عن أن لا أحد يطلب الحرب العربية الاميركية، لا مباشرة، ولا خاصة عبر المواجهة العسكرية مع اسرائيل.

برغم ذلك فإن التخوف مشروع من أن تطيح القمة العربية، المكتملة النصاب والشرعية في الكويت، بعد غد، الحد الأدنى المأمول من زحمة القمم العربية والمتمثل في: وقف الاجتياح الاسرائيلي، وانسحاب القوات المحتلة، ورفع الحصار وفتح المعابر جميعا الى غزة التي تركت بالمليون ونصف مليون مواطن فيها وبالمقاومة المشرفة لوحدها لوحدها لوحدها تستبسل ولا منجد او مغيث.

ما بعد القمم الثلاث سنكون امام عالم عربي مختلف عن هذا الذي عرفناه قبلها.

لقد عادت الى الخطاب الرسمي العربي أقله بلسان سوريا ومعها فصائل المقاومة الفلسطينية وبعض أصحاب القرار في دول عربية اخرى نبرة كانت قد غابت او خفتت في فترة طويلة، فغلب تعبير التحرير على السلام والمهادنة ولو مشروطة: العين بالعين والسن بالسن.

ومن أسف ان يشهد الواقع على ان خطر الحروب بين الدم العربي والمسالمين على حسابه قد تسبق المواجهات التي يمكن ان يفرضها جنون الحرب في اسرائيل مع اكتشاف قادتها ان معاركهم الانتخابية انما تحسم بأعداد القتلى العرب وليس بأصوات مواطنيهم المستوردين من اربع جهات الارض والمستعدين لأن يتهودوا ليربحوا بعضا من أوطان العرب وثرواتهم الهائلة التي تذهب الى رفاهية الأجنبي البعيد وتمنع من ان تحفظ حق الاخ العربي في الحياة.

أخبار الخليج
١/١٧

الفوز العظيم نجم تركيا يبزغ بامتياز في أزمة العدوان

فتح عبد القادر حسين

مادامت امريكا داعمة لاسرائيل في عدوانها على غزة، ومادام قادة العرب نائمين أو متخاذلين، ومادامت الشعوب في واد والحكومات في واد آخر، فانتظروا حل المشكلة الفلسطينية يوم ٣٠ فبراير الذي لن يأتي أبدا!!

وعلى حد تعبير أحد المعلقين على ذهاب وزراء الخارجية العرب الى نيويورك قاصدين مجلس الامن لوقف العدوان الغاشم على غزة، إذ قال انهم يبحثون هناك عن بيضة الديك.

ولقد اختزل المشهد في غزة الصامدة الموقف الصهيوني بكل وضوح إذ جندت اسرائيل التي تملك واحدا من اقوى جيوش العالم تجهيزا وتقنية، كامل اسلحتها من قاذفات وطائرات استطلاعية وقتالية،ودبابات ومدرعات ومجنزرات وجرافات وغيرها، وبوارج بحرية وغواصات كل هذا مع احدث الذخائر الممنوعة والمحرمة وذلك من أجل مدينة أو قطاع محاصر منذ نحو سنتين ويكاد أهل غزة يعيشون على الرمق ويكابدون صنوف العنت من أجل كسرة خبز، دولة كاملة التسليح تجيش جيوشها للعدوان على مدينة.

وقد عمدت اسرائيل منذ البداية إلى تدمير البنية الاساسية في غزة من مرافق حيوية ومدارس ومساجد وأمطرت المدنيين بوابل من القنابل انتقاما منهم ومن صمودهم وتأييدهم لحماس ولكن المجاهدين والمدنيين صبروا وصمدوا إلى درجة أذهلت الجميع واطارت لب العدو.

تجارة رابحة

ربح البيع يا أهل غزة. فقد جمع الحدث أهل القطاع على اطيافهم كافة من حماسيين وقساميين و«فتحاويين» وغيرهم وجعل الجميع سواء في فندق الجهاد (المقاومة) متاجرين مع الله تجارة رابحة:

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» (التوبة ١١١).

ولقد اذهلت المقاومة العالم كله إذ يصمد شعب غزة طوال هذه الفترة التي سبقها انهاك الحصار الظالم الذي شارك فيه العدو والشقيق، واطارت لب الدولة الصهيونية التي رفعت من وتيرة التقتيل بما تملك من أدواته التي تحيل الجثامين الطاهرة الى اشلاء تشهد على دموية اسرائيل ووقوف الاشقاء بين الاقصاء والاخصاء والمشاركة والمباركة ولكن هذه الدماء الزكية سوف تأتي يوم القيامة ولونها لون الدم وريحها ريح المسك «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (آل عمران ١٦٩ - ١٧٠).

ورغم دموية المعتدين، اعداء الله وقتلة الانبياء والابرياء، فانهم فجعوا في صمود أهل غزة الذين نالوا من عدوهم رغم قلة عدتهم وعتادهم، وتمكنوا من قتل واصابة اكثر من ١٢٠ صهيونيا وأحدثوا ولو جزئيا توازن معادلة الرعب، ومع هذا يقبل المجاهدون على القتال يبغون الشهادة حتى المدنيون منهم اعلنوا صمودهم وعدم استسلامهم رغم رفع غطاء الامن والامان ورغم افتقاد شقيق أو صديق يقدم الدعم المناسب «ولا تهنوا في ابتغاء القوم فإن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما» (النساء ١٠٤)، وفي ظل الشدائد يصنع الرجال الاشداء.

الأمل يأتي من بعيد

وبينما عبرت جماهير وشعوب العالم كله وخرجت في مظاهرات ومسيرات بالملايين منددة بالعدوان البربري الذي راح ضحيته مئات الابرياء معظمهم من الاطفال والنساء فضلا عن الاف الجرحى الذين لا يجدون مكانا لهم في المستشفيات التي تعمل بدورها في ظروف بالغة الصعوبة، في ظل هذه الاوضاع المأساوية يمنع بعض الدول العربية خروج الناس الى الشارع للتعبير عن مشاعرهم تجاه اخوانهم الذين يقفون بين ذبيح وجريح، بينما نجد دولة فيما وراء البحار مثل فنزويلا تطرد السفير الاسرائيلي لديها وستة من موظفي السفارة وتنتقد اسرائيل وأمريكا لدعمها العدوان على شعب أعزل وتعمل آلة القتل والتدمير وتعيث الفساد بين البلاد والعباد.

وفي ظل هذه الظروف المخزية عربيا يبزغ نجم تركيا بامتياز حيث هاجم رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان الكيان الصهيوني بأشد الكلمات وينتقد قادة الكيان الصهيوني ناعتا اياهم بالعدوانية ومذكرا بأن التاريخ لن ينسى هذه النقطة السوداء لهؤلاء المعتدين، وكرر الكلام ذاته في جلسة خاصة للبرلمان التركي متفاخرا بأنه من سلالة الخلافة العثمانية التي آوت اليهود المضطهدين في أوروبا.

هذه النبرة الحادة لم تأت للأسف من الاخ والشقيق بل أتت من بعيد ومن الشمال بما يفسح لتركيا مكانة مرموقة في قلوب المواطن العربي والمسلم الذي يراهن على ان وحدة المسلمين وقبلهم وحدة العرب هي الصخرة التي يتحطم عليها كيد الكائدين ومؤامرات المتآمرين.

وكان فخر رئيس وزراء تركيا العلمانية بالخلافة العثمانية أبلغ رد على الذين يسخرون من الخلافة الاسلامية ويعتبرونها «موضة قديمة» فتحية الى اردوغان الذي وجد فيه العرب صوت العزة والكرامة حينما لم يجدوهما في بلادهم.

وتحية عطرة، واجلالا واحتراما للرجال البواسل تحت النار ولكل شرفاء غزة واعتذر عن سوء تقديري لمدى صمودهم طوال هذه الفترة تحت نيران عدو حاقد لا كرامة ولا اخلاق له.

الجمهورية
١/١٧

هل يتكرر سيناريو لبنان ٢٠٠٦؟

د.محمود وهيب السيد

وحتى وقت كتابة تلك السطور وما تزال الحرب المشتعلة والتي شنتها آلة الحرب الإسرائيلية الهمجية على قطاع غزة قائمة بل ودخلت أسبوعها الثالث مخلفة وراءها أكثر من الثمانمائة شهيد والألف من الجرحى ودمار شبه كامل لكل مباني ومرافق وبنية تحتية للقطاع وقد احتار الكثيرون لسبب رد الفعل المبالغ فيه الذي تعمد إليه إسرائيل أمام ما وصفته ب «شك الدبوس المستفز» في إشارة إلى الصواريخ الفلسطينية التي تطلقها المقاومة ورغم ان هذا العمل الوحشي لا يجب ان يثير الدهشة إذ انه يتناسب تماما والنظرية الإسرائيلية في الاستخدام المفرط للقوة ومع طبيعة إسرائيل في حتمية خوض حرب عسكرية ما تستخدم فيها كامل قواتها المسلحة كل بضع سنوات على احدى الجبهات العربية.

فالجميع لا يقتنعون بما أعلن من أسباب إسرائيل لشن تلك الحرب الهمجية وهي القضاء على صواريخ القسام التي تهدد أمن إسرائيل وتدمير الانفاق التي يتم عبرها تهريب السلاح لغزة والقضاء على البنية التحتية لحركة حماس بحيث تضعف سيطرتها على غزة فتدفع بالغزاويين لخلعها عن الحكم وذلك تمهيدا لتسليم القطاع لحركة فتح والسلطة الفلسطينية وبذلك يتم القضاء نهائياً على الإرهاب الذي يهدد شعب إسرائيل والدفع بعملية السلام قدما من جديد كما يمكن ان يكون من ضمن تلك الأهداف تقطيع أوصال ودعائم وروابط إيران بالمنطقة تمهيدا لضربها بمعرفة الولايات المتحدة أو إسرائيل أو كليهما مشتركتين كذلك تغيير واقع القضية الفلسطينية بحيث تخلق وضعا سياسيا وجيوسياسيا جديدا لصالح إسرائيل يبدأ منه جهود الإدارة الأمريكية الجديدة الرامية لايجاد تسوية للقضية ويصبح محاولة الوصول لما عليه الحال حاليا هدفا لها.

ورغم ذلك فمازال يثور التساؤل عن السبب الحقيقي لشن إسرائيل لتلك الحرب وعلى هذه الصورة من الكثافة قد يكون جانباً من هذه الدوافع الإسرائيلية هو اقتراب موعد الانتخابات العامة المبكرة فحزب كاديما الوسطي الحاكم بقيادة وزيرة الخارجية تسيبي ليفني وحلفائها من حزب العمل اليساري بقيادة وزير الدفاع إيهود باراك يخشون من ان ينظر إليهم الرأي العام الإسرائيلي بأنهم تحالف ضعيف أمام منافسهم الصقر المعارض بنيامين نتانياهو رئيس حزب الليكود اليميني حيث تتجه إسرائيل إلى صناديق الاقتراع في ١٠ فبراير القادم وهو ما جعلهم يسعون بوضوح إلي مضاهاة جنوحه العسكري ومواقفه المتشددة وستحدد نتيجة الحرب ما إذا كان سيستفيد باراك زعيم حزب العمل ومهندس الحرب في غزة من هذا النصر في مواجهة حزب تسيبي ليفني كاديما وحزب الليكود اليميني المتطرف بقيادة بنيامين نتانياهو لذا فمن المدهش إذن ان يكون بعض من دوافع الحرب هي مؤامرة انتخابية مثيرة للسخرية.